صورة الطبيعية في شعر علي محمود طه

الدكتورة : وردة ربعاني

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

RESUME

Le Thème De La Nature Est Frequement Abordé Dans La Poesie ,Et Quand Le Poète Se jette Dans Ses bras il Se Familiarise Simplement Et Rapidement Avec Elle , La Nature Lui Inspise Des Fois La Necessité De Ce Repence Et Lui Fait Naitre Dans Son Cœur Voire méme Dans Son Esprit Un Sentiment Qui peut Lui Conduire a La Folie ,Alors que parfois Elle Suscite Chez Lui Un Mouvement De Rébelliont .

Le Poète Reste On Méditation Avec Les Formes De La Nature Et Invoque Leurs Differents Aspects –Qui Peuvent – Apparaitre Pour La Première Fois Comme mortes – Ce Qui Fait Trembler cette Rigidité Et Il Arrivé A ,Son Sortir Avec Une Créativité Eblouissente ,Cette dernière écrase la notation De Nihilisme Et Du Silence Absolu Qui Régne D'habitude Sur ses Formes Comme La Montagne Le Lac Et Plein D'autre .Le Poète En Faite Est a ,Cette Capacité De S'unifier Avec La Nature et de la profendir .Et C'est Ce Que Nous Allons Toucher Véritablement Dans La poésie De Ali Mahmoud Taha.

للإنسان بالطبيعة علاقة وطيدة ،إنه ينفذ من خلال مظاهرها إلى ما وراء ذلك ليدرك ما ينطوي عليه تلك الأسرار ،و ما تخفيه في أعماقها من معان عميقة ،ثم يصدر هذا الامتزاج ،و ذلك الإحساس في شكل عمل فني يعرب فيه عن قوة هذه العلاقة ، إنه يتخطى حدود الجمود و الرتابة في هياكل الطبيعة الخالدة فيجد في ظواهرها و أسرارها منبعا ثريا لأحاسيسه و أفكاره و تصوراته .

و الشعر في الطبيعة غزير ،و حين يرمي الشاعر بنفسه بين أحضانها يأنس إليها ،فتوحي له مرة بضرورة التوبة ،و مرة بالجنون ،و مرات بالتمرد [1] .و يظل الشاعر يناجي هذا الهيكل الصامت ،و يدغدغ مظاهره الميتة ،فيزعزع الجمود فيه ،و يخلق ،أي يبدع شعرا يقضي على كل برودة ،و على العدمية الصامتة لهذه الهياكل ، كالجبل ، و البحيرة ....و غيرهما .و الشاعر وحده هو الإنسان الذي يملك قدرة الإتحاد بها ،و الولوج إلى عمقها رغبة في استنطاقها .

ذلك لأن الشعر بحث مكثف عن الوجود الفعلي المختبئ وراء الهياكل و الأماكن [2].

و الفن لا يسيغ التقرير و الوصفية لأن الوصف رضوخ لما ظهر و اتضح لأنه يحيل الشعر إلى نوع من النقل الذي يعيد بالألفاظ ما شخص شخوصا بصريا في المظاهر.[3]

إن الشاعر الحضري يرى أن التقاط وجوه الشبه التي تستقيم في حدود العقل تقصير في إدراك الحقائق الكامنة التي تحيا كالأرواح الغامضة الخفية جامعة المظاهر برباط روحي هو أكثر صدقا و أشد عمقا من الرباط المبتذل .

فالشاعر يحتضن الطبيعة بعيدا عن مفهوم الوصف لأن الشعر الوصفي يشير إلى عجز الشاعر عن الحلول في روح الأشياء و الانفعال بها انفعالا خلاقا بفض جمودها ،و ينفذ إلى دلالتها الجوهرية .

يقول إيليا الحاوي : " لقد قصر الشاعر العربي غالبا عن إدراك حقيقة الشعر من هذا القبيل فلبث يجول في حدود المادة أو حدود المعاني منصرفا إلى الغلو البصري القائم على الجزئية و الحسية و الواقعية التي يسغها و يقرها المنطق من دون الاجتماعية النفسية التي تعبر عما شاهدة الشاعر أو فهمه بقدر ما تعبر عما عاناه ،و أشرق له عندما إندهل ،و انفعل ...فالشعر العربي في معظمه كان يتجه إلى المقابلة بين الأشياء ، و يقر بها بينما ينصرف الشعر الحقيقي إلى ما تستبطنه و ترمز إليه ، الأول يغشى السطح بينما الثاني ينفذ إلى الغور و الأعماق ..."[4].

و يهمنا من عرض قول إيليا الحاوي أن العرب و العجم اعتنوا–على حد سواء – بالطبيعة و تغنوا بها ،لكن الشاعر العربي –قديما –كان وصفه للطبيعة خارجيا لا عمق فيه ، فهي ،أي الطبيعة –في شعره- باردة لا حياة بها ،فهي تلك الجبال في شموخها ،و تلك البحار في شساعتها ... و هذا يعنى أنه كان يعي المكان في بعده الهندسي الجاف .

أما الطبيعة عند الشاعر الرومانسي فقد تخطت أبعاد المكان الهندسي لتغدوا كائنا حيا يشعر و يحس ،و تجلت في شعره ببعدها الإنساني و الميتافيزيقي ، أو فلنقل ببعدها النفسي ،و هذا ما يعنينا .

فأول الرومانسيين الغربين حين تحدث عن الطبيعة قال عنها صافية ،و طاهرة ،و خيرة ،و مقدسة ،تحنو على البشر و تحتضن عذابهم و آلامهم [5]

و هو القائل : " أيتها الطبيعة ، أيتها العزيزة ، ها أنا ذا أحتمي بك وحدك ،لا يوجد البتة من يفصل بيني و بينك شريفا كان أم ليما "[6]

أما مدام دي ستايل فقد دعت إلى تغيير الذوق ،و تحديد مفهوم جديد لأدب ينطلق من داخل الذات ، باتجاه الخارج [7] و ذلك يعني التأكيد على الفرادة و الحرية لان العبقرية الشعرية استعداد نفسي لا عقلي ، و الفن الشعري بمجموعة يهدف إلى تحديد العاطفة السجية في أعماق النفس . [8]

و أما ألفريد دي موسيه فقد دعا من خلال قصيدته (ليلة أكتوبر) ملهمته إلى التأمل في الطبيعة الخالدة ، ففي انبعاثها يولد حب الشاعر الضائع [9].

فالطبيعة –إذن –رمز للانفعالات ،و التجدد ، معها يستعيد الشاعر ذكرياته ، و تحتفي معها كل عذاباته لأنها في انبعاثها و تجددها المستمر تزرع في نفس الشاعر إحساسا عذبا بالتحول و التناوب ،فهي الأم الحنون التي تحتضن أبنائها و تواسيهم في عذاباتهم ، و تلهمهم الحكمة.

و لو تمنعنا (البحيرة) للامارتين لوجدنا قد جعلنا جسرا يعبر منه لمناجاة حبة الضائع ،و عتبة يتكئ عليها ليبث شكواه من الزمن المخادع ، قد غدت البحيرة مكانا زمنيا احتفظت –الشاعر– ببعض بصمات ذكرى الحبيبة فوق مياهها [10]. فكان (لامارتين)سعى إلى تثبيت الزمن الهارب ،و إيقاف حركته ،فمكان البحيرة للمتمعن في قصيدة (لامارتين) التي تحمل هذا العنوان حاضر ببعده النفسي ، معبأ بالألم و الذكرى ، متملص من أبعاده المادية الجافة . و القارئ لتلك القصيدة (البحيرة) يفاجأ بوصف الطبيعة الإنسانية ، و ألمها ، و إظطرابها ،و قلقها ،و حيرتها أمام سطوة الزمن و استبداده عوضا عن وصف محاسن الطبيعة .

لذلك يمكن القول أن الشاعر الرومانسي فتح أحضانه على الطبيعة ،و على كل الموجودات من حوله و حاول أن يبحث عن تناسق و الانسجام ،و التالف الذي يجعله في علاقة حميمة مع الكون . و أصبح له وعي جديد بالطبيعة ، فهي تجسد الخلود ،والديمومة ،و البقاء ، إنها حية و ناطقة تفهم أنين البشر ،و تسم شكواهم ،لذا أتجه النص الرومانسي إلى الإحساس بها و التقرب منها [11].

فالطبيعة –إذن-تكتسي لآلات وفقا لنفسية الشاعر فهو يشحنها بالانفعالات والأحاسيس ،فإن كان فرحا رأى فصولها ربيعا و اخضرارا و غناء ،وإن كان حزينا أبصر فيها ملامح الفناء ، و علامات الزوال ، أي أنها تظهر قاسية و جافة ، و قاتلة ،و تختفي فيها جانبها العذب و الرقيق .

و من الباحثين من يرى أن الشاعر الرومانسي أدرك أن الفناء مصير كل إنسان،وأن استبداد الزمن أقوى من رغبة الإنسان في البقاء ، رأى الموت في الحياة ،و العدم في البقاء ،و الغناء في الوجود فتمنى الموت ، رغب فيه ،و رفض الحياة و زهد فيها ، فانطوى على نفسه ،و ارتمى في أحضان الطبيعة ليس طمعا في حنانها و عطفها ، و لكن أملا في أن تحفظ له الذكرة و تصون له الماضي السعيد من التلاشي و الفناء .

إن الشاعر الرومانسي يبحث عن الخلود في الطبيعة لما أدرك أن ماله الفناء و الزوال .[12]

و لما كان هذا هو شأن الرومانسية الغربية مع الطبيعة فيمكنك أن تلخص إلى الشيء ذاته عند جماعة أبولو باعتبارها تأثرت تأثرا واضحا بهذا المذهب الغربي ، فالجماعة أبولو قد تعلقت هي الأخرى بحب الطبيعة تعلقا شديدا و حنت إلى الغاب حنينا مفرطا ،هروبا عن عالم البشر ،و بحثا عن الراحة و السعادة [13] كما يقول رائدهم زكى أبو شادي :

أمي الطبيعية في نجواك إسعادي و في ابتعادي أعاني دهري العادي

ما بالها هي صفوي وحدها فإذا رجعت للناس لم أظفر بإسعاد

كأنما الناس أعداء فبعضهمو حرب لبعض و حساد لحساد [14]

فالإنسان بطبعه يحب الطبيعة ،و يهرب إليها من ضيق الحياة و أتعابها ، كيف لا وقد نبت من تربتها و استنشق هواءها و شب و مرح بين مروجها و حقولها ،و هي التي احتضنته ، و حنت عليه ، فكيف لا تكون متنفسه وقت الشدة و الضيق ،إنه يسعى إليها كي تذهب عنه الهم و الحزن و السام ، فهي الأم الرؤوم التي تخفف وطأة الشدائد ،و تشارك الشاعر أفراحه و مسراته ، لذلك كان للطبيعة هذا الحضور القوى في شعر الجماعة أبولو ،خاصة وأن هناك أسباب قوية تدفع هؤلاء الشباب إلى الهروب إلى الطبيعة ،و الارتماء في أحضانها ، ذلك عندما وصل الفساد أوجه و تربع علة الحكم إسماعيل صديقي ،" و تحتم على الأدباء أن ينطووا على نفوسهم في صمت أليم ، لكن شعراء هه الجماعة لم يستسلموا لتلك الأحداث ،و كانوا يشعرون بالحيرة و الضياع و الأسى ، فثاروا على هذه الظروف ثورة عارمة ثورة عارمة تمثلت في انعزالهم و تشاؤمهم و حنينهم إلى الموت ،و تأملهم في الحياة والمصير " [15].

بالإضافة إلى هروبهم إلى أحضان الطبيعة ، أو كنف المرأة ، كانوا – في أشعارهم – مندفعين إلى الغناء الذاتي الحزين ، ووصف الألم و الضياع ، و الطبيعة و المرأة ،و التأمل

الفلسفي .و كان هذا الغناء الوجداني دليلا على ضرورة الاستبداد و طغيان الفساد في عصرهم .

لكن المتتبع لإشعار جماعة أبولو – في مجال الطبيعة - لا يعثر على تلك الأوصاف الخارجية ، أي التي تصف مظاهر الأمور و اهتمام بالصيغ التشبيه كما هو الشأن عند شعرائنا العرب الوصافين الأوائل ، بل إن هؤلاء حاولوا التعمق في وصف الطبيعة ،وإعطائها أبعاد نفسية ، فهم تارة يشخصونها ، أي يشخصون بعض مظاهرها ،و يحاورونها ،و تارة يسقطون عليها كآبتهم أو أفراحهم [16]. ذلك لأنها–وفق نظرتهم إليها – هي الوحيدة الجديرة بتفهم أحاسيسهم و خواطرهم ،و هي ملجأهم الوحيد الذي يفزعون إليه ، بل قل إنها محرابهم الذي يقدسونه ، و يطيلون بقاءهم فيه .

و قد تميزت أشعار علي محمود طه بما ذكرنا من مميزات جماعة أبولو لأنه أحد شبان هذه الجماعة .

لقد كان شاعرنا –علي محمود طه-مولعا بالطبيعة ، مفنونا بمناظرها فهو ممن أكثروا وصف البحيرات و المجاري المائية [17] ،فقد وصف بحيرة (كومو) و هي بحيرة في ايطاليا ،و من أجمل مفاتن أوروبا يمم إليها الشاعر لما سمع عن جمالها ، و لم تفوت عليه ربة القريض وصفها فقال معجبا بمناظرها

و اصدحي يا خواطري طويت شقة السفر

و دنت جنة المنى و حلا عندها المقر

البحيرات و الجبال توشحن بالشجر

فسمونا لخدرها زمرا تتلوها زمر

بابل ؟ أم بحيرة ؟ أم قصور من الدرر

أم رؤى الخلد في الحياة تمثلت للبشر ؟[18]

إنها الجنة على الأرض يحلو عندها المقر ، و قد نعتها الشاعر بالحسناء التي يمكن التسلل إلى خدرها ، و التنعم بساعات اللقاء و إياها .

كما يعمد الشاعر علي محمود طه وصف طبيعة (كان)و خليجها الفاتن ،و قد ركز أغلب حديثه عن البحر و القمر قائلا :

تساءل الماء فيك و الشجر من أين يا (كان) هذه الصور

البحر و الحور فيه سابحة رؤى بها بات يحلم القمر؟

قد جاوز الليل نصفه فمتى تؤم فيه أصدفها الدرر

فليصخب البحر و لتئن به رماله ،و ليثرثر الشجر [19]

فالمتأمل لهذه الأبيات يرى أن الشاعر قد شخص الطبيعة وجعل الماء يتساءل ، القمر يحلم ، و البحر يصخب ،و الشجر يثرثر ،و كل هذه العناصر تفيض حيوية و حياة بعيدا عن الجمود و الركود الذي عرفه وصف الطبيعية عند القدماء من شعراء العرب ، أنها طبيعة (كان) الأخاذة .

لكن شاعرنا بقدر ما هو معجب بطبيعة أوروبا و بحفلات أوروبا التي تقام على الشواطئ و الخلجان ،و ما يصحب هذه الحفلات من تمتع بالمرة ،و بشقراوات أوروبا ، بقدر ما كانت نظرية إلى طبيعة مصر نظرة مشوبة بالحزن ،و الأسى كقوله :

لم أنت أيتها الطبيعة كالخزينة في بلادي ؟

لولا أغاريد ترسل بين شادية و شادي

لحسبت أنك جنة مهجورة من عهد عاد

عجبا و ماؤك دافق و نجوم أرضك في إتقاد [20]

فالطبيعة مصر – على جمالها – لم تبعث في شاعرنا شعورا بالغبطة و البهجة كما هو الشأن بالنسبة لطبيعة أوروبا ،و ربما يعزي ذلك إلى نفسيته القلقة الحيرانة ، المضطربة بسبب الاستبداد الذي يمارس على الشعب المصري الذي علي محمود طه أحد أفراده ، فالطبيعة مصر جنة لكنه لم ينعم بها .

و مما يؤكد اضطراب الشاعر و حيرته النفسية حديثه عن تلك الأشباح التي أفسدت عليه سكينته ،و هذه الأشباح كما يقول بوبعيو ترمز إلى حياة الشاعر المضطربة [21] التي تطارد الأشباح لتخلى سبيله عساه ينعم بالراحة و الهدوء فهو القائل :

لم أقبلت في الظلام إلى و لماذا طرقت بابي ليلا ؟

لات حين المزار أيتها الأشـ باح فامضي فما عرفتك قبلا

اتركيني في وحشتي و دعيني في مكاني بوحدتي مستقلا

لست من تقصدين في ذلك الوا دي فعذرا إن لم أقل لك أهلا [22]

فهو يقر بأنه يعاني الوحشة و الوحدة ،و حتى لو لم يصح شاعرنا بهذا الإحساس لتمكن الدارس لإشعاره من استخلاص ذلك من خلال حديثه المسهب عن الماء ،و الينابيع ،والمجاري المائية و الشطان ،و البحيرات ،و الربان ،و كل ما له علاقة بالماء . و يتجلى ذلك في عناوين

قصائده (الملاح التائه ، الشاطئ المهجور ، إلى البحر، البحيرة ، مصرع الربان ، بحيرة كومو ، الشواطئ المصرية ، النهر الظامئ ، البحر و القمر ، تحت الشراع ، على النيل ....)

فالماء – عند الرومانسيين- يحيل في ميرعته ، و سيولته على التوتر ،و التموج والاضطراب ، كما يحيل الاحتفاء بالمناظر العائمة ،و الأماكن الضبابية على ذات متوترة ،مرتاحة عبر الأمكنة تبحث من خلالها عن الغامض و الملغز [23]،و هذا ما ينطبق على شخصية الشاعر علي محمود طه التواقة التنقل ،ووصف الأمكنة المائية ،و ذلك دليل الشعور بالحيرة و القلق ،و هو القائل في قصيدته (الملامح التائه) :

أدرك التائه في بحر الهوى قبل أن يقتله الموج صراعا
وارع في الدنيا طريدا شاردا عنه ضاقت رقعة الأرض إتساعا
ضل في الليل سراه و مضى لا يرى في أفق منه شعاعا
يجتوى اللافح من حرقته و عذاب يشغل الروح التياعا
فاجعل البحر أمانا حوله و أملأ السهل سلاما و اليفاعا [24]

فهو تائه ،طريد ، شاردة ، يكاد يحرقه العذاب ، لا يرى في الأفق ولو بصيص أمل لذلك فهروبه إلى البحر بحثا عن الأمان ،و بعثا للأحلام .

فالماء من أكبر الرموز الدالة على اللاوعي ، و هو أحيانا رمز للروح أو الحياة الروحية [25] ،و الماء كما يروي و يسقي ،و يخصب فهو أيضا يغرق و يفسد ، و القارئ لقصيدة الشاعر (الملاح التائهة) يدرك أن المكان حاضر في بعده النفسي مفهم بالألم و الذكرى ، لذلك يمكن القول إن هناك عملية إسقاط لما يعتلج في صدر الشاعر من ألم ، لان الطبيعة مرآة تنعكس عليها نفسية الشاعر ،و قد يجد فيها عزاءه ، فتلك البحيرات (بحيرة كومو ، بحيرة ....) في اضطراب مياهها ، و اصطخاب أمواجها تحيل على اضطراب الذات البشرية ،وقلتها ،ووطأة الزمن عليها . [26] و لا شك أن الظلم و الاضطهاد يولدان في النفس شعورا بالمرارة ،و هذا ما نلحظه في شعر علي محمود طه .

يقول في قصيدته (إلى البحر) :

ذلك البحر هل تشاهد فيه غير ليل من وحشة و اكتئاب ؟
ظلمات من فوقها ظلمات تتوامي بالمائج الصخاب
أيها البحر كيف تنجو من الليل و أين المنجي بتلك الرحاب
ويك يا بحر ما أنينك في الليل أنين المروع الهياب [27]

فهو يشخص البحر و يجعله بشرا ينادى ،ثم يضفي عليه صفات الوحشة و الاكتئاب والظلمات و الأنين ،و أغلب الظن مثل هذه المتاعب النفسية يقع تحت طائلها الشاعر لذلك فهو يشارك الطبيعة آلامه و أحزانه .

و يبدوا ذلك –أيضا – في تصويره لليل برهبته ،و دجاه حيث يصل من وراء ذلك إلى إعطاء صورة عن نفسه المضطربة و حياته القلقة [28] حيث يقول :

فإذا الليل روعة و جلال و إذا القفر غارق في سبات

غير ذاك الغريب في تيه النا ئي كئيب الفؤاد و النظرات

قد شجاه هوى اقتحام الصحارى و الصحارى منارة الصبوات [29]

و نخلص إلى القول أن وصف الأمكنة المائية ، والإكثار من الحديث عنها يحمل دلالات الاضطراب و التموج ،و يثير في الذات إحساسا مريرا و مؤلما بالانكسار ،و دليل على أن مصير الإنسان غامض ،و مجهول ،و مخيف ،و حياته لا تستقر على حال ، بل يتجاذبها المد والجزر ، كما هو الشأن في حياة علي محمود طه الذي يذكر مرة البحر ،و مرة الشاطئ و النهر ،و مرة أخرى الصحراء و الصخرة و غيرها ،و تنقله بين الأمكنة كثيرا ينقل لنا إحساسه بعدم الطمأنينة و الأمان مع شعوره بالتيه و الضياع ، و الخوف من المجهول ،و دليلنا على ذلك ، وذلك الإهداء الذي قدم به لديوانه (الملاح التائه) حيث قال :" إلى أولئك الذين يستهويهم الحنين إلى المجهول ؟إلى التائهين في بحر الحياة ؟ إلى رواد الشاطئ المهجور ؟[30]

فالطبيعة هي بيت الشاعر الذي يسكن إليه ، فيشعر في كثيرة من الأحيان بأنها الأم الرؤوم التي تحميه من استبداد المجتمع ،وتحقق له الإحساس بالوحدة و العزلة المحببة ،وتوفر له جوا ملائما للحلم و الهروب من الواقع الفاسد .

و يمكن أن نرد اهتمام الشاعر بالأماكن المائية بحثا عن الهروب من الواقع ، ذلك أن الإنسان – عبر الماء – يستطيع أن يتملص من واقعه و يغرق في لجج عذبة من الأحلام اللذيذة ،و كأن للماء فعلا خاصا على الذات التي تتأمله ، فهو عنصر مقدس ،و مطهر. [31]

يقول جان جاك روسو متحدثا عن الماء : " إن المياه في مدها و جزرها ، و صوتها المستمر والمتقطع أحيانا تنعكس باستمرار على أذني و عيني ، و تناسق مع الحركات الداخلية التي تحدثها الأحلام في ذاتي ،

و تكفي كي أحس بمتعة وجودي دون عناء التفكير..."[32]

و هكـذا يمكـن أن يكـون المـاء مصـدرا لتفريـغ شـحنة القلـق و الحـزن ،و مبعثـا للراحـة و الاسـتجمام ،و لمـا كانـت عناصـر الطبيعيـة تشـارك الشـاعر أفراحـه و أتراحـه فقـد اتخـذها علي محمـود طـه أداة لرسـم صـورة عـن المـرأة ، فجمالهـا مسـتمد مـن الطبيعـة حولهـا ، فهـو ينقـل صـفات الجمـال في الطبيعـة ليصـنع منهـا صـفات الجمـال في صـاحبته ،يقـول أحمـد الحـوفي :" لقد أدرك العرب الجمال و تذوقوه ، أدركوه في الطبيعة ،و أدركوه في المرأة "[33]

فالطبيعـة ملهمـة الشـعراء ،و المـرأة أيضـا ، أمـا إذا اجتمعـا فهـذا يعني أن عنصـر الإلهـام سـيكون مضـاعفا ، فـالمتفحص لشـعر علي محمـود طـه يسـتنتج تلـك الخاصـية التي تميـز بهـا الرومانسـيون و خاصـة جماعـة أبلـوا و المتمثلـة في عمليـة المـزج بـين الطبيعـة و بـين الحـب ، أي الاستعانة بعناصر الطبيعية لإظهار جمال الحبيبة ، و إبرازه ، فحينما نقرأ قوله :

قبلة من ثغرك الباسم دنيـا و حليـة

نبعها القلب و مجرها الشفـاه النظرات [34].

نلاحـظ أنـه اسـتعمل كلمتي (النبـع و المجـرى) و كلاهمـا يـدلان على المـاء الـذي هـو أصـل الحيـاة ،و هـو يبعـد الظمـأ و العطـش و يـنعش ،و يـذهب الـذبول ،و لا يمكـن أن تسـتوي الحيـاة بدونـه ، لـذلك فالشـاعر ينقـل لنـا صـورة هـذه القبلـة أنهـا تعيـد لـه الحيـاة و تنعشـه ،و تبعـد عنـه سـأم العيش ، كما ينعش الماء النبتة بعد أن توشك على الذبول .

لقـد وجـد الشـاعر في الطبيعـة معينـا ثريـا لتشـبيهاته ،و اسـتعاراته حيـث قـرن كـل جـزء مـن أجـزاء حبيبتـه بمـا يشـبه كليـا أو جزئيـا في الطبيعـة مـن عناصـر صـريحة و صـامتة ، أي أنـه ذكـر الطبيعة الحية و الصامتة .

يقول واصفا حسناء عرفها في أوروبا و التقى بها في مصر

فيا فتنة من وراء البحار لقيت بها القدر الساحرا

أرى جنة و أراني بهـا أهيـم بأرجائهـا حائـرا

ملأت بتفاحها راحتي و يت لكرمتهـا عاصـرا .[35]

فالشـاعر يقـدم للقـارئ صـورة عـن حسـن هـذه الغـادة فهي تـارة في صـورة الجنـة التي يهـيم فيهـا الشـاعر ،و تـارة جسـد يلـت ذبـه ، حيـث شـبه ثـديها بالتفـاح ،و ريقهـا بـالخمر الـذي بـات لـه عاصـرا ، فالتفـاح و الخمـر مـن عناصـر الطبيعيـة التي اسـتعان بهـا الشـاعر لإظهـار مـدى افتتانـه بهـذه الحسـناء ،و دليـل مهـارة الشـاعر ، و قدرتـه على التصـوير ، فهـو يقـدم لنـا صـورة عـن الجـو الذي التقي فيه بإحدى الغواني ،و كيف كان بهيجا محفوفا بالورد حيث يقول :

رب ليــل أفنينــاه ضمـــــا و عناقــا

و أدرنا من حديث الحب خمرا نتســـاقى

في طريق ضرب الزهـــر حواليــه نطاقا

و تجلى البدر فيه وصفــا الجــو وراقــا (36)

فكل عناصر الطبيعية من ليل و بدر ،و جو كانت مهيأة لاحتضان هذا الحب و مباركته ، فقد كانت ساعات اللقاء و لحظات الحب تسكره ، فهي بمثابة الخمرة التي تخلق لشاربها عالما خاصا بعيدا عن هموم الدنيا و عذابها ، فالليل كان مقمرا ،و المكان كان مزهرا مما ساعد الشاعر على التمتع بساعات الحب .

لقد ارتمي الشاعر في أحضان الطبيعة و لهانا شاكيا لها تباريح الهوى و آلام الحزن والأسى ، نافثا إليها زفرات الألم .

و بعد ، فإن علي محمود طه من الشعراء الذين هاموا أيما هيام بالطبيعة ، وجعلوها مشاركة لهم حياتهم ، حبهم ، أحزانهم ،و أفراحهم ،و قد تأتى لهم ذلك عن طريق التشخيص الذي يمثل ظاهرة بارزة في شعر جماعة أبولو عموما ،و علي محمود خصوصا .

هوامش البحث :

([1])الطبيعة عند ابن خفاجة ، لفاطمة الزهراء غربي ، محظوطة ماجستير، جامعة باجي مختار عنابة ، الجزائر ،ص 1

([2])إيليا حاوي ، في النقد الأدب ،مقدمات جمالية عامة و قصائد محللة من العصر الجاهلي ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1979،ص 37

([3])المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

([4])المرجع السابق ،ص 38

([5])ROUSSEAU .LES CONFESSIONS .TOME 2 . PAGE 456

([6])المرجع السابق ،ص 456

([7])الطبيعة في شعر ابن خفاجة للطالبة فاطمة الزهراء غربي ، محفوظة ماجستير ،ص 65 ،نقلا عن مدام دي ستيل (DE L ALLEMEGNE) ،ص 20

([8])فان تيغم (فليب) ،المذهب الأدبية الكبرى في فرنسا ،ترجمة فريد أنطنيوس ،ص 188)

([9])MUSSET (ALFRED).POESIES CHOISIES . LIBRAIRIE A .HETIER . PARIS .1957 .PAGE 62

([10])دلماس (كلود) ، تاريخ الحضارة الأوروبية ، ترجمة توفيق وهبة ،ص 87

([11])دلماس (كلود) ،تاريخ الحضارة الأوروبية ،ترجمة توفيق وهبة ،87

([12])الخطيب (حسام) ،محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ، (نشأته و مذاهبه) ، 210

([13])بوجمعة بوبعيو ، الموازنة ، ص 197

([14])زكي أبو شادلي ، ديوان أنداء الفجر ، الطبعة الأولى ، ص 20

([15])عبد العزيز الدسوقي ، جامعة أبولو ، ص 298

([16])بوجمعة بوبعيو ، الموازنة ،ص 212 ، 213

([17]) المرجع السابق ، ص 290

([18])علي محمود طه ، الديوان ، ص 292

([19]) المصدر نفسه ، ص716

([20])علي محمود طه ، الديوان ، ص 643

([21])بوجمعة بوبعيو ، الموازنة ،ص 244

([22])المصدر نفسه ،ص 58

([23])بحيرة لامرتين ،دراسة مقارنة في الصورة الشعرية للطالب محمد حلوش ، مذكرة ماجستير ، ص 19

([24])علي محمود طه ، الديوان ،ص 37

([25])بحيرة لامرتين ،دراسة مقارنة في الصور الشعرية ، للطالب محمد حلوش ، مذكرة ماجستير جامعة باجي مختار ،عنابة ،ص 16

([26])دلماس كلود ، تاريخ الحضارة الأوروبية ، ص 87

([27])الديوان ،ص 185

([28])بوجمعة بوبعبو ، الموازنة ، ص 204

([29])المصدر السابق ،ص 117 ، 119

([30])علي محمود طه ، اليدوان ، ص 9

([31])بحيرة لامارتين ، دراسة مقارنة في الصورة الشعرية لمحمد حلوش ، مخطوطة ماجستير ،ص 17

([32])ROUSSEQU , LES REVERIES D UN PROMENEUR SOLITQIRE . P 72

([33])أحمد الحوفي ، الغزل في العصر الجاهلي ، ص 24

([34])اليدوان ،ص 49

([35])الديوان ، ص 620،622

([36])المصدر نفسه ،ص 50